UFAS – SETIF 1

Revue semestrielle – Université Ferhat Abbas Sétif 1

REVUE AGRICULTURE

Revue home page: http.www: http://revue-agro.univ-setif.dz/

مفهوم البيئة الطَّبيعية واستراتيجيَّات الحفاظ عليها في الإسلام: دراسة نظرية تحليليَّة.

بن ضيف الله بلقاسم[1] و مداني كلثوم أمينة[2]

[1] المدرسة الوطنيَّة العليا للعلوم السِّياسية.

[2]جامعة محمد بن احمد –وهران2–.

(*) E-mail : belka_is@hotmail.com

ARTICLE INFO

L'histoire de l'article
Reçu : 25/09/2018
Accepté : 31/12/2018

الكلمات المفتاحيَّة: البيئة، الإسلام، البيئة الطبيعية في الإسلام، الخطاب الدِّيني البيئي، التَّوازن البيئي، المسؤولية الإجتماعية.

الملخَّص:

سعينا من خلال هذه الدراسة؛ إلى استعراض الأسس الدِّينية والمرتكزات العلميَّة التِّي تشكِّل أساس الخطاب البيئي في الإسلام، كون هذا الأخير يُعتبر رسالة شاملة تهتم بمختلف القضايا الفيزيائية وغير الفيزيائية المتصلة بحياة الإنسان. وقد خلصنا في الدراسة إلى أنّ أبرز ما شغل فقهاء وعلماء الدين الحاملين لهذه الرِّسالة؛ العمل على بناء تصوُّر إسلامي لمفهوم البيئة الطبيعية وكيفيات حمايتها؛ كونه بات ضرورة ملحّة في الزَّمن الرَّاهن، الذي أصبح فيه مشروع البيئة السَّليمة رهانًا تتوافق حوله الإنسانيَّة جمعاء. علاوةً على ذلك ، عملوا على إعادة صياغة مضمون الخطابات التقليدية المؤسِّسة لنظريَّات البيئة من منظور ديني، وفق ما يتلاءم وتطورات العصر، دون الإخلال بما جاءت في القرآن الكريم والسنَّة النَّبوية الشَّريفة من مضامين حول مفهوم البيئة الطبيعية. وكشفت الدِّراسة أنَّ البعد الهيئي للإسلام اهتم بالمفاهيم الحديثة كالتَّوازن البيئي واختلالاته وآليات الحفاظ عليها، وأنَّ محور هذه العمليَّة هو الإنسان ذاته، الذي يشكِّل أعلى قيمة يحرص على صونها الإسلام.

ABSTRACT

The research seeks to present the religious foundations and scientific foundations that form the basis of environmental discourse in Islam, because Islam is a comprehensive message, We have found that Muslim scholars are preoccupied with producing an Islamic conception of the environment, On the other hand, to bring this integrated religious perception to the lives of people, As it has become an urgent necessity in the present time, in which the project of sound environment is compatible with all humanity, In addition, it has become necessary to invest all the established discourse of environmental theories, Especially the religious discourse as it is included in the Holy Quran and Sunnah and the jurisprudence, The study revealed that the religious dimension concerned modern concepts such as environmental balance and imbalance and that the focus of this process is the Human , which is the highest value of Islam.

Keywords: Environement, Islam, religious discourse, environmental balance, social responsibility.

Introduction

مقدمـــة:

يكشف التنقيب في البعد الديني "للبيئة الطَّبيعية" في الإسلام، عن مدى الأهمية التي أولاها لتنظيم حياة الفرد المسلم، وتسوية أصعب مشكلاته الإجتماعية التي تحول دونه وتحسين حياته اليومية نحو الأفضل. حيث أثبتت الشَّريعة الإسلامية قدرتها على إعادة بناء العقل الإنساني بشكل إيجابيّ ، بما تتضمنه من نصوص تشريعية تحدد علاقته بكل ما يحيط به من موجودات وعوالم؛ فأولت عناية خاصَّة لمجمل القضايا التي تتَّصل بشكل مباشر بكينونته ومستقبله ؛ على رأسها قضية "البيئة الطَّبيعية"، وطريقة تعامل هـمعها، من حيث الإستغلال والحفاظ عليها.

إذ تعدُّ "البيئة الطبيعية" من القضايا الجوهريَّة التي تندرج ضمن تلك المنظومة، والتي أولاها الإسلام عناية خاصة. ولهذا فإنَّه من الضروري رصد ما جاءت به تلك المنظومة، باعتبارها المحدّد المرجعي الأساس لنشاط الفرد في المجتمع الإسلامي، بغية فهم تصورات مفهوم، والآليات التي قدمها الإسلام للتعاطي مع مسائل البيئة ، ومعالجة المشكلات المتَّصلة بها ، لاعتبلو الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض، وهو المسئول الأول عن أيّ ضرر قد يلحق بهذا النظام البديع ؛ وهذا ما أثبته العصر الحديث خاصَّة بعد أن استطاع الإنسان الوصول إلى قمة المنجزات الحضارية، ما ألحق أشدّ الضرر بالنظام البيئي، وبالكائنات الحيَّة الأخرى التي يتشارك وإياها عناصر الحياة الرئيسيّة . واهتمام الإسلام بالبيئة الطَّبيعية وحرصه عليها سبق الدِّراسات والسياسات المعاصرة التي اعتمدتها الدّول المتقدِّمة في هذا المجال، كون المنهج الإسلامي يسعى إلى إعداد الإنسان الصالح بمعناه الإنساني الشَّامل الذي لا يفصل بين المضمون والشَّكل في سلوكه وأعماله حتى تصلح حياته في الأرض.

ويحدِّد الإسلام من خلال ما جاء به من مضمون أخلاقي وفكري في القرآن الكريم والسُّنة النَّبوية، أحكامًا وتعاليم واضحة، وضوابط سامية، وقيمًا راقية، لتنظيم علاقة الإنسان مع محيطه وبيئته. فرأى "إبن خلدون" أنّ المجتمع يقوم على العمل والتَّعاون بين الأفراد، ويتماسك بفضل حاجة الإنسان النَّفسية إلى تكوين جماعات مترابطة لتلبية حاجاته في إطار المبادئ والقيم الدِّينية التي تشبّع بها، حيث رأى أنّ المجتمع يجني ثماره في تفعيل تلك القيم ممارساتيًا على أرض الواقع. كما حثّت الآيات القرآنية والتَّشريعات والتَّعاليم الإسلاميَّة الإنسان، المحافظة على هذه النعم التي توفِّرها له "البيئة الطَّبيعية"، والإستفادة منها دون عبث أو تخريب أو إسراف أو تبذير أو إفساد لها؛ فقد بات موضوع المحافظة على "البيئة الطَّبيعية" أولويَّة المثقَّفين والمفكرين والعلماء في الإسلام إلى جانب قضايا أخرى، حيث أصبحت "البيئة الطَّبيعية" من أهم القضايا التي

يوليها العالم في الإسلام اهتمامًا كبيرًا في هذا العصر، بل أكثر من ذلك، تحوَّلت إلى هم يؤرق حياة المهتمين بشؤون المجتمعات الإسلاميَّة، لارتباطها بمستقبل وجوده على الأرض.

من هذا كلِّه، نرموا من خلال هذه الدراسة إلى الإجابة على مشكلة بحثيَّة مركزيَّة، محورها السُّؤال التالي: ما المقصود بالبيئة الطَّبيعية في الإسلام؟ وما الآليات التي حدَّدها القرآن الكريم والسنَّة النبوية لحماية والحفاظ عليها، وكل ما يتصل بها من أحياء نباتية وحيوانية من الإتلاف والإفساد، باعتبارها الوسط الذي يحيى فيه الإنسان ويمارس نشاطاته اليومية، التي تضمن له تحقيق غاية الإستخلاف في الأرض؟

والإجابة على هذا السُّؤال في الدِّراسة، تم عن طريق تقسيم العمل إلى محاور رئيسة شملت أربعة عناصر متداخلة؛ يتعلق الأوَّل منها بتحديد المقصود بالبيئة الطَّبيعية في الإسلام: عبر استعراض مفهوم "البيئة الطَّبيعية" في كل من القرآن الكريم والسُّنة النبوية، ثم بحث الثَّوابت التي أقرَّها الإسلام في مجال حماية ورعاية البيئة الطَّبيعية من الإستنزاف ومختلف مظاهر الإتلاف التي قد تلحق بها بفعل سلوكه غير الرشيد، في العنصر الثاني؛ فتحليل واستعراض القواعد الشَّرعية المتعلِّقة بحماية البيئة الطَّبيعية في الإسلام، كما ورد في القرآن الكريم والسُّنة النبوية في العنصر الثَّالث؛ فبحث الآليات المستحدثة من طرف فقهاء الإسلام حديثًا للحفاظ على البيئة الطَّبيعية وترشيد استغلالها، جراء تزايد ضرر النشاط الإقتصادي للإنسان على البيئة، في العنصر الرَّابع والأخير.

❖ العنصر الأول: مفهوم البيئة الطبيعية في الإسلام: مقاربة إيتيمو–نظريَّة.

بعيداً عن الغوص في جدلية المصطلحات المتداولة حولها ، وما ينتج عنها من تفريعات متنوعة تتعدد بتنوع الإتجاهات الفكرية للباحثين واختلاف المفاهيم، ودون الحاجة إلى إيراد الإجتهادات الكثيرة في تعريف مصطلح البيئة، يمكننا القول أنَّ "البيئة الطَّبيعة" عرِّفت بتعريفات كثيرة تأخذ معاني ودلالات متنوعة؛ غير أنَّ ما يربطها جميعاً ؛ هو أنَّها تدور حول محور واحد هو الكائن الحي وما يحيط به من موجودات طبيعية، ولذلك عرَّفها البعض بأنَّها: "المجال الذي تحدث فيه الإثارة والتفاعل لكل وحدة حية، أوهي كل ما يحيط بالإنسان من موارد طبيعية ومجتمعات بشرية ونظم اجتماعية" [(1)]. وعرفها "مؤتمر البيئة" الذي عقد تحت رعاية الأمم المتحدة في "استكهولم" بالسويد سنة 1972م، بأنَّها: "رصيد الموارد المادية والإجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته " [(2)]، وقد حاول بعض الباحثين أن يحدّد مفهومًا

[(1)]: مصطفى العلواني، التلوث جريمة الجشعين، مجلة قطر الخير"، قطر: جمعية قطر الخير، 1999م، ص ص، 1–2.

[(2)]: محمد الفقي، البيئة (مصر: مكتبة إبن سينا، 1993م)، ص.18.

إسلامياً للبيئة، غير أنَّه في تصورنا لا يخرج عن التعريفات الأخرى التي ذكرت لمفهوم البيئة. وما جاءت به السنة النبوية والقرآن الكريم من مفاهيم حول الطبيعة وعلاقة الإنسان بها.

1 أولا: التعريف بالبيئة الطبيعية في الإسلام.

مفهوم "البيئة"، بشكل عام، قد يضيق ليقصد به كل نشاط خاص متعلق بمجال واحد دون غيره وذلك حين نقول مثلاً: البيئة الصحية، البيئة الزراعية، البيئة الثقافية، البيئة السياسية الخ؛ ونعني بذلك النشاط البشري والصناعي الذي يتعلق بمجال محدد لا يتعداه لغيره. كما أنَّ "البيئة" تقسم في معظم المصادر إلى قسمين رئيسيين: البيئة الطبيعية: ويقصد بها المكونات البيئية التي لا دخل للإنسان في إيجادها كالبحار والأنهار والصحاري والجبال والمناخ....الخ. البيئة الصناعية: ويقصد بها المظاهر الحياتية التي شيدها الإنسان وأنتجها لصالحه وتشمل مظاهر البناء والتشييد واستغلال الموارد المائية والنباتية والنظم الإجتماعية والحضارية... الخ.

لكن، رغم كل هذا التعقيد والتداخل في تعريف "**البيئة**" في الفقه البيئي المعاصر، إلا أنَّ هذا لم يمنع من بعض الباحثين من صياغة تصورات تعريفية للبيئة من منظورات مختلفة؛ فنظر إليها الدكتور "**قطب الريسوني**" على أنها: "المحيط الطبيعي الذي يكتنف مخلوقات الله تعالى حية وغير حية، وما ينتظم هذه المخلوقات من علائق تفاعل وتكامل في إطار السنن الكونية والنواميس الإلهية التي تنتصب ميزانا ضابطا لتصرفات المستخلف في التسخير والتعمير." [(1)]

من جانبها عرفت قوانين الدول، "البيئة الطبيعية"، من زوايا مختلفة ومتعددة؛ فالقانون المغربي مثلا عرف البيئة الطبيعية بأنها: "مجموعة العناصر الطبيعية والمنشآت البشرية، وكذا العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تمكن من تواجد الكائنات الحية والأنشطة الإنسانية وتساعد على تطورها" [(21)]. وعرف القانون الليبي البيئة الطبيعية بأنها: "المحيط الذي يعيش فيه الإنسان وجميع الكائنات الحية، ويشمل الهواء والماء والتربة والغذاء". [(32)] في حين عرفها القانون الكويتي بأنها: "المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية من

[(1)]: قطب الريسوني، المحافظة على البيئة من منظور إسلامي (بيروت: دار إبن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م) ص، ص.28-29.

[(2)]: أنظر الموقع الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية: Ongla ayoune 2010.herber gratuit.com، مقالة التنمية والبيئة والمعادلة الصعبة، القانون المغربي، رقم 11,03 المتعلق بحماية البيئة.

[(3)]: أنظر الموقع الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية: knol.google.com/k/judge-dr-osama albdlaziz مقالة: ماهية البيئة، للدكتور أسامة عبد العزيز.

إنسان وحيوان ونبات وكل ما يحيط به من هواء وتربة وما يحتويهما من مواد صلبة أو سائلة أو غازية أو إشعاعات إضافة إلى المنشآت الثابتة والمتحركة التي يقيمها الإنسان". [1] أما "مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية" في ستوكهولم سنة 1972م قدم تعريفا للبيئة بأنها " رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما، وفي مكان ما، لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته".

ليس ثمة شك أن الإسلام من منطلق كونه خاتم الرسالات السماوية إلى البشرية كافة، إهتم بالبيئة اهتماما كبيرا باعتبارها ميراث الأجيال المتلاحقة ، حيث أودع الله فيها كل مقومات الحياة للإنسان المستخلف فيها . كما أرسى الإسلام الأسس والقواعد والمبادئ التي تضبط وتقنن علاقة الإنسان ببيئته لتتحقق من خلالها العلاقة السوية التي تصون البيئة من جهة، وتساعدها على أداء دورها المحدد من قبل الخالق سبحانه في إعالة الحياة من جهة أخرى.

إنّ مفهوم البيئة في الإسلام مفهوم شامل، فهي تعني الأرض والسماء والجبال وما فيها من مخلوقات، وعلاقات ومؤثرات وظواهر مختلفة ، بما فيها الإنسان وما يحيط به من دوافع وعواطف وغرائز . ويتميّز مفهوم البيئة في الإسلام بشموليته، فهي تضم كل مخلوقات الله من إنس وجان والبحار والأنهار والجبال والنباتات والحيوانات والحشرات . قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ هُوَ الذي أنزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً لَكُم مِنهُ شَرَابٌ ومِنهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۞ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرعَ والزَّيتُونَ والنَّخِيلَ والأعنابَ ومِن كُلِّ الثَّمَراتِ إنّ في ذلكَ لآيَةً لِقومٍ يَتَفَكَّرونَ ۞ وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ والنَّهارَ والشَّمسَ والقَمَرَ والنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأمرِهِ إنّ في ذلكَ لآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلونَ ۞ وما ذَرَأَ لَكُم في الأرضِ مُختلِفاً ألوانُهُ إنّ في ذلكَ لآيَةً لِقَومٍ يَذَّكَّرونَ ۞ وهوَ الذي سَخَّرَ البَحرَ لِتَأكُلُوا مِنهُ لَحماً طَرِيّاً وتَستَخرِجوا مِنهُ حِليَةً تَلبَسُونَهَا وتَرَى الفُلكَ مَواخِرَ فِيهِ ولِتَبتَغُوا مِن فَضلِهِ ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ ۞ وألقَى في الأرضِ رَوَاسِيَ أن تَمِيدَ بِكُم وأنهاراً وسُبُلاً لَعَلّكُم تَهتَدُونَ ۞ وعَلامَاتٍ وبِالنَّجمِ هُم يَهتَدُونَ﴾ [2]

يتميّز مفهوم البيئة في الإسلام بوحدة الكون من حيث النشأة، والتفاعل بين عناصر الكون ؛ قال الله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾. [3]

---

[1]: أنظر الموقع السابق.

[2]: سورة النحل، الآيات: 10-16.

[3]: سورة الزمر، الآية: 6.

- **ثانيا: البيئة الطبيعة في القرآن الكريم:**

تعدُّ المحافظة على البيئة من الأمور التي حثَّ عليها القرآن الكريم واهتمَّ بها، كما نهى عن تخريبها بأيّ شكلٍ من الأشكال . وتعتبر "البيئة الطبيعية" الحاضنة الرئيسة للإنسان، والنبات، والحيوان، إلى جانب العلاقات المتبادلة فيما بينهم، والتي تعود بالنفع على الجميع؛ ومن هنا، فهي تمثل بشكل أو بآخر رأس مال هذه الحياة، وعلى الأخص للإنسان الذي يعتبر خليفة الله تعالى على الأرض، والمسئول الأكبر عن أي ضرر قد يلحق بهذا النظام البديع، وهذا ما أثبته العصر الحديث، خاصة بعد أن استطاع الإنسان الوصول إلى قمة المنجزات الحضارية، ممّا أدّى إلى إلحاق أشد الضرر بالنظام البيئي، وبالكائنات الحية الأخرى التي يتشارك وإياها عناصر الحياة الرئيسيّة، فوردت في ذلك عدة آيات وروت عدة أحاديث.

إشتمل القرآن الكريم وحده على أكثر من أربعة مئة مسألة علمية وتشريعية واجتماعية متعلقة بأهمية البيئة الطبيعية وآليات حمايتها، وقد اعترف فقهاء القانون الدولي للبيئة أنّ الشريعة الإسلامية متوافقة مع العلم الحديث ومطابقة للنظم والحقائق العلمية المتعلقة بالإستغلال العقلاني للبيئة، كونه يحمل في ثناياه رؤية شاملة نحو الوجود والحياة . فالقرآن الكريم يأتي في مقدمة النصوص الدينية التي اهتمت بتشريعات حماية البيئة الطبيعية من الإتلاف، ويرى التشريع الإسلامي أن الإنسان هو الخليفة الأول على المنظومة الأرضية كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾.[1]

إن اهتمام الإسلام بالبيئة الطبيعية من حيث ذكر مكوناتها ودقة صنعها وتنوعها وبيان سحرها وروعتها، يرتقي إلى أعلى الدرجات حتى يصل إلى أن يستخدمها القرآن كأحد الوسائل الموصلة إلى متانة البناء العقدي للإنسان المسلم وذلك حين طالب الإنسان بالنظر فيها والتفكر في صنعها والوصول من خلال ذلك إلى إدراك عظمة الخالق سبحانه وتعالى ومن ثم الإيمان به والتسليم بقدرته وتفرده في صنع هذا الكون ، قال تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۞ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۞ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۞ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ** ﴾. [2]

---

[1]: سورة البقرة، الآية: 30.

[2]: سورة ق، الآيات: 6–11.

تلك دلالة على أن الإنسان هو المسئول الأول على الأرض باعتباره المحور الأساس من الحكمة الإلهية التي تشير بأنّ الطبيعة ومن فيها مسخرة للإنسان ، وأنه مطالب بالإستثمار فيها وتطورها والمحافظة عليها، لأن الإنتفاع منها وخيراتها يؤخذ صيغة الإشتراك بين الأجيال والأجناس المختلفة، ويسقط حكم التملك المطلق للطبيعة [1] ، فمفهوم البيئة في الإسلام يعنى جملة الأشياء التي تحيط بالإنسان بدءً من الأرض التي تقله، صعوداً إلى السماء التي تظله، وما بينهما من العوامل والمؤثرات المختلف. كما أنها تتعمق داخل النفس البشرية تضبط ما فيها، وذلك لأن الإسلام لا يقف عند حد الماديات وشكلها، إنما يجعلها وسيلة لتزكية النفس وتطهيرها.

تتخذ البيئة في الدين الإسلامي ، حيزا للتدبر في القدرة الإلهية وتحمل الإنسان مسؤوليته الكاملة اتجاه الأرض المستخلف فيها، ونهى الإسلام عن الفساد في الأرض وجعله من شروط الإيمان بالله في قوله تعالى ﴿ **وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [2]، ووضع القرآن الكريم للإنسان جهاز مفاهيمي رسخ فيه أهمية البيئة في حياته اليومية ومكانتها في منظومته الفكرية وجذرها في ذاته، بشيء يوحي للمتجول في النظم الخاصة بهذا الدين بأن رسالته هادفة لخدمة البيئة، لأن الوصية الربانية تقوم على ركائز أساسية من بينها الإصلاح وعد م الفساد، وهو ما يتضح في قوله تعالى ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ [3]، فكان من أوائل ما قرره الإسلام: أن الله تعالى خلق البيئة نقية، سليمة، نافعة، جميلة، تسر الناظرين، فقال الله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ** ﴾. [4]

كما تكفل الله تعالى بحفظ النوع والسلالة لجميع المخلوقات ، وقد بدأ حفظ النوع والسلالة في عهد سيدنا نوح عليه السلام ، ويستمر هذا الحفظ إلى أن يرث الله الأرض وما عليها . ومن بين الضوابط العديدة التي وضعها القرآن للإنسان في التصرف بمكونات البيئة: نه ﷺ عن الإفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل، فقال سبحانه ﴿ **وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ**

---

[1]: محمد جابر قاسم، "التربية البيئية في الإسلام "، مجلة أسيوط للدراسات البيئية، العدد 31، جامعة الإمارات، 2008، ص.120.

[2]: سورة الأعراف، الآية: 85.

[3]: سورة الأعراف، الآية: 74.

[4]: سورة ق، الآية: 6.

الْفَسَادَ ﴾[1]، ونهى الإسلام عن الإسراف بكل أشكاله السلبية سواء في المأكل والمشرب وغير ذلك من الموارد الطبيعية، في قوله تعالى: ﴿**يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾.[2]

- **ثالثا: البيئة الطبيعية في السنة النبوية:**

إهتمت السنة النبوية كما القرآن الكريم، كثيراً بموضوع البيئة الطبيعية وكل ما يتعلق بها ، فقد جاء ذكرها في كثير من الأحاديث التي حثت المسلمين على احترام الكائن الحي وما يحيط به من نبات وأشجار ومصادر مياه متنوعة . إن مجالات الفقه الإسلامي تحديدا في شقه النبوي والذي يعتبر مصدرا أساسيا في التشريع الإسلامي، تعد منهجا للحياة على مستوى الممارسة، كونها قدمت نظرة كلية وتصورا شاملا للحياة بما فيها طريقة التعامل وإدارة ا لبيئة الطبيعية وكيفيات الحفاظ عليها ، للتعبير بفريضة حسن إدارة البيئة ومواردها كونها تخضع في السنة النبوية لنظرية التسخير والاستخلاف .[3] فللبيئة الطبيعية كما جاء في السنة النبوية، تعتبر جزءا من هذا الكون الذي سخر لمنفعة الإنسان؛ وهذا الأخير وضع خليفة عليه مما وجب عليه المحافظة على البيئة ومواردها بعمارتها وتنميتها وإصلاحها والتوسط والاعتدال في استغلالها.

وقد تعددت الأحاديث النبوية الداعية إلى رعاية البيئة والعناية بها، منها قوله عليه الصلاة والسلام: «**عرضت علي أعمال أمتي، حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن** »،[4] وهذا تنبيه للأفراد كي يحافظوا على نظافة البيئة والأماكن العامة، ممّا يدل على عظم اجر وثواب رعاية البيئة وحمايتها . كما جاء في حديث آخر قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**مر رجل بشوك في الطريق فقال: لأميطن هذا الشوك لا يضر رجلا مسلما**

---

[1]: سورة البقرة، الآية: 205.

[2]: سورة الأعراف، الآية: 31.

[3]: محمد أبو ليث ، الوحي والعلوم في القرن 21"الحفاظ على البيئة والوسطية والاعتدال من منظور القرآن والسنة" ، الجامعة الإسلامية العالمية، ط1، ماليزيا، 2015، ص.26.

[4]: محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين (الرياض: مدار الوطن للنشر، المجلد الأول، د س ن)، ص. 139.

فغفر له»[5] وهو يدل على عظم وزر وذنب وجرم التعدي على البيئة ومكوناتها ، كما جاء في حديث قوله ﷺ: **«اتقوا اللعانين قالوا وما اللعانان يا رسول الله؟ قال الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم».** [1]

وجاء عن "النعمان بن بشير" عن النبي ﷺ أنه قال **« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً»** ؛[2] وفي هذا الحديث إشارة واضحة إلى المسئولية الجماعية والمشتركة للمجتمع المسلم في المحافظة على الحياة ككل، منها البيئة الطبيعية، وعدم العبث بمواردها، لحفظ حق الأجيال القادمة في استغلالها، واعتبار أن الحياة مسئولية عامة، إذا أخل بها نفر سار ضرره على البقية من أفراد المجتمع.

❖ العنصر الثاني: الثوابت الإسلامية في مجال رعاية البيئة:

عدة آليات أوردها الإسلام في القرآن الكريم والسنة النبوية للحفاظ على البيئة الطبيعية من مختلف مظاهر الإتلاف والتلويث والإستغلال الجائر. ضمانا في ذلك تحقيق هدف الإستخلاف، والحفاظ على استمرار الجنس البشري بحفظ ما يضمن له الإستمرارية. منها إستراتيجيات:

- **أولًا: التشجير والتخضير:** وأهداف التشجير والزرع في الأرض تحقق منافع عامة للناس؛ فقد جاء في قوله تعالى﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُون والرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ المسرفين**﴾[3] ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«... من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر، فإن له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله»**؛ [4] وفي هذا وقال أحد الفقهاء " أن تكتب الصدقة

---

[5]: مسلم بن الحجاج، الصحيح، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، المجلد الأول، 2006م)، ص. 269.

[1]: محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (المملكة العربية السعودية: المطبعة السلفية ومكتباتها، 1375هـ)، ص. 57.

[2]: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، مراجعة: قصي محب الدين الخطيب (المملكة العربية السعودية: دار الريان للتراث، كتاب الشراكة، 1986م).

[3]: سورة الأنعام، الآية: 141.

[4]: أحمد بم حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنئوط وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، الجزء السابع والثلاثين، 2001م)، ص.312.

والمثوبة للغارس والزارع، على ما أخذ من زرعه وثمره، وإن لم تكن لصاحبه له فيه نية، لمجرد اتجاهه إلى الغرس والزرع، فكل ما يستفاد منه لكائن حي له فيه ثواب".

- **ثانيًا: العمارة والتثمير:** ويأتي في مقدمتها إحياء الأرض الميتة وتثمين الثروات وتنمية الموارد، ولذا اعتبر الإمام "الراغب الأصفهاني" في كتابه "الذريعة إلى مكارم الشريعة": أن عمارة الأرض أحد مقاصد خلق الإنسان، ولذا كان الحديث النبوي رواه داود **«... من أحيا أرضا ميتة فهي له»**،[1] حتى إن "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه انتزع أرضا كانت مقطوعة إلى رجل يسمى "بلال بن الحارث المزني" لأنه لم يستطع أن يعمرها كلها. ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: **«ما من مسلمٍ يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلا كان له به صدقة»** ، [2] ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: **«إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها»** ،[3] وحتى في الحروب فقد نهى عليه الصَّلاة والسَّلام عن قطع الشجر أو قتل الحيوان إلا للأكل من غير زيادةٍ عن الحاجة.

- **ثالثا: النظافة والتطهير:** على اعتبار أن الطهارة من شروط بعض العبادات خاصة الصلاة، شاع بين المسلمين مقولة "النظافة من الإيمان" وأوردت السنة النبوية آدابا كثيرة في النظافة والإغتسال والتطيب وحسن الهندام خاصة في المناسبات العامة كصلاة الجمعة والعيدين، وحثت على إماطة الأذى عن الطريق.

- **رابعا: المحافظة على الموارد الطبيعية:** قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾؛[4] والإفساد يكون بالإتلاف وتفويت المنافع أو التلويث والإسراف، أو بإشاعة الظلم والباطل والشر ولذا عندما نهى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا أراد أن يذبح شاة حلوبا لما لها من نفع عليه وغيره من المسلمين، وأمره بغير الحلوب. وفي السنة إنذار لمن يقتل طيرا أو حيوانا بغير منفعة أو يتخذ شيئا فيه روح هدفا للتصويب عليه، كما أن بها حثا على الاستفادة بجلد الميتة.

---

[1]: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، مراجعة: قصي محب الدين الخطيب (المملكة العربية السعودية: دار الريان للتراث، كتاب المبايعة، 1986م)، ص. 23.

[2]: محمد ابن مكرم ابن منظور، لسان العرب (مصر: دار المعارف، د س ن)، ص ص.37–87.

[3]: أحمد ابن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنئوط وآخرون، مرجع سابق، ص ص. 29–6.

[4]: سورة الأعراف، الآية: 56.

الجدول رقم 1: يوضح الآيات الواردة في القرآن الكريم الدالة على ضرورة الحفاظ على البيئة الطبيعية (بتصرف).

المفهوم البيئي.	السورة.	رقم الآية.	المفهوم البيئي.	السورة.	رقم الآية.
الحفاظ على الغلاف الجوي.	الأنعام	125	**الحفاظ على الثروة المائية.**	البقرة	22
	الحجر	16		إبراهيم	32
	الأنبياء	32		طه	53
الحفاظ على الثروة النباتية.	الحج	63	**الحفاظ على الثروة الحيوانية.**	آل عمران	15
	فاطر	27		النحل	4 و8
	الزمر	21		النور	45
الحفاظ على الصحة البدنية.	الأعراف	157		فاطر	28

- **المرجع: محمد أحمد الخضي ونواف أحمد سمارة، القيم البيئية من منظور إسلامي، "مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية"؛ المجلد التاسع، العدد الثاني، 2009م، ص ص. 83–84.**

- **خامسًا: النهي عن تلويث البيئة الطبيعية :** قال عليه الصلاة والسلام : **«إذا أبيتم إلا الجلوس في الطريق فأعطوا الطريق حقَّه، قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال: غَضُّ البصر، وردُّ السَّلام، وإماطة الأذى عن الطريق"، ويقول عليه الصلاة والسلام: "لا يبلونَّ أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه»**،[1] وأيضاً لعن الرسول عليه الصلاة والسلام من يبول في ظلِّ شجرة أو في قارعة الطريق، وغيرها الكثير من ال نصوص الشرعية من الكتاب والسُّنَّة . لكن الآن الذي يحصل يفوق قضاء الحاجة في الماء أو قارعة الطريق، الآن أصبحت الدُّول ترمي بالنِّفايات النَّوويَّة والكيميائية في البحار أو تدفنها تحت الأرض، مما أدَّى إلى هلاك الحرث، والزرع، والحياة في كلِّ مكان، فلو أطعنا الله تعالى، وأطعنا رسوله عليه الصلاة والسلام لما ظهر هذا الفساد الذي نراه في البرِّ والبحر، ناهيك عن تلوث الهواء الذي نتنفَّسه . في مسعى ديني للحفاظ على صحته البيئية.

عرفت علاقة الصحة بالبيئة من قديم الزمان ، عندما ربط الإنسان بين انتشار الأمراض والبيئة. في القرن السابع عشر أكتشفت الكائنات الدقيقة التي تسبب أمراضاً معدية، وهذا قاد إلى تفعيل صحة البيئة لتحد

[1]: علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح (سوريا: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م). ص، 406.

من انتشار الأمراض مثل الكوليرا، التيفوئيد، الملاريا، وأمراض معدية أخرى. هذا التفعيل لدور صحة البيئة مثل "الإصحاح البيئي"؛ إنعكس اليوم في صيغة برامج؛ مثل تأمين مياه شرب نقية، وبسترة الحليب أو اللبن، وتحضير الطعام بطرق صحية، وشبكات الصرف الصحي.

- **سادسًا: الحفاظ على صحة الإنسان:** وهناك حشد كبير من النصوص الدينية من قرآن وسنة التي تدعو إلى الحفاظ على الصحة، بدءا من الدعاء بطلب العافية ومرورا بالوسائل التي تجلب العافية وتحافظ على سلامة البدن، وحتى التعامل الإيجابي مع المرض في حالة وقوعه والمحافظة على نظافة البيئة حتى لا تنتقل عدوى المرض إلى الآخرين. عبر تلويث الجو والمحيط.[1]

- **سادسا: الإحسان إلى البيئة:** إنّ الرفق بالبيئة مؤسس على بعد عقائدي ويتأكد ببعد أخلاقي ويتجدد ببعد تشريعي، وتشترك هذه الأبعاد الثلاث في التأكيد على الرفق بالبيئة، بحيث يتم الإستنفاع دون أن يصيبها ضرر يخل بمفرداتها الجزئية أو في نظامها العام، وتتلخص التشريعات الإسلامية في أمرين هما رفق صياني ورفق استهلاكي.[2]

- **سابعًا: المحافظة على البيئة من الإتلاف:** إن التلف هو الوصول بالبيئة إلى الهلاك، والإتلاف يتم بنوعين هما الإتلاف العبثي الذي ليس وراءه منفعة حقيقية للإنسان والإتلاف الذي يقضي إلى عجز البيئة عن التعويض الذاتي، مما يؤدي إلى انقراض الأنواع الحية، ومن هنا فإن الصيانة تشمل على نوعين هما الصيانة من التلف العبثي، والصيانة من التلف المؤدي إلى الانقراض [3]. إن إتلاف النوع الحيواني أو النباتي أو الحيوية يزيد من تضخم مشكلة تدهور البيئة، لذلك وضع الإسلام قواعد تمنع أي هدر في أي مورد.[4]

---

[1]: عطية ضياء الدين محمد، مواجهة الإسلام للتحديات المتصلة بالبيئة (ماليزيا: رابطة الجامعات الإسلامية، د س ن)، ص ص. 12–54.

[2]: محمد محمود السرياني، المنظور الإسلامي لقضايا البيئة: دراسة مقارنة (الرياض: مركز الدراسات والبحوث، ط1، 2006م)، ص. 303.

[3]: محمد زهران، الإسلام والبيئة (مصر: الكتبة الأكاديمية، 2000م)، ص ص. 23–78.

[4]: المكان نفسه.

الجدول رقم 2: يوضح الآيات القرآنية الدالة على ضرورة الإعتدال والتوازن في استغلال البيئة الطبيعية وعدم إفسادها.

المفهوم البيئي	السورة	رقم الآية	المفهوم البيئي	السورة	رقم الآية
النهي عن إفساد البيئة الطبيعية	البقرة	60	**النهي عن الإسراف والتبذير**	الأنبياء	9
	المائدة	64		الأعراف	31
	الأعراف	56/85		الإسراء	26
	القصص	77		الأنعام	141
	هود	85		الفرقان	67
حدود استغلال البيئة الطبيعية	الرعد	8	**ضرورة الإعتدال في الإستغلال**	لقمان	19
	الحجر	19		الإسراء	26
التقدير	الفرقان	2	**الحسبان**	الرحمان	05
	الأعلى	3	**الإصلاح**	الأعراف	56/85

- **المرجع: محمد أحمد الخضي ونواف أحمد سمارة، القيم البيئية من منظور إسلامي، "مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية"؛ المجلد التاسع، العدد الثاني، 2009م، ص 79.**

❖ المحور الثالث: القواعد الشرعية المتعلقة بحماية البيئة الطبيعية في الإسلام:

يعتبر القرآن الكريم أحسن منطلق وسند يمكن الإعتماد عليه لوضع أسس إسلامية لتنمية بيئية طبيعية نظيفة، فثمة قواعد شرعية عامة استنبطها علماء المسلمين من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي قواعد تعدّ أصيلة بذاتها، لكونها سبقت التشريعات البيئية المعاصرة وتفوقت عليها زمانا ومضمونا، وعلينا أن نسعى إلى تفعيلها في مجال دفع الضرر بكل صوره وألوانه، بما في ذلك الضرر الذي قد يلحق بالبيئة الطبيعية من جراء تصرفات الإنسان وسلوكياته غير الحميدة، وعلينا أيضا أن نعمل على إحيائها والإحتكام إليها لحل النزاعات البيئية التي تواجهها البشرية حاليا سواء على المستوى الدولي أو الإقليمي أو الأفراد.

- 2-1- قاعدة لا ضرر ولا ضرار:

"الضرر" إلحاق مفسدة بالغير، فكل ما يترتب عليه ضرر في مكونات البيئة من تربة وماء ونبات وحيوان وهواء، وكل ما يؤدي إلى اختلال في التوزان البيئي، ممنوع شرعاً [1]. القاعدة الشرعية أسست على الحديث الذي رواه "عبادة بن الصامت" عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه: **"لا ضرر ولا ضرار"** وتعني أنَّ: لكل فرد مطلق الحرية في أن يتصرف فيما يملك إذا انعدم الضرر فيه أو الإضرار به، فإذا حدث ضرر للغير به؛ فلولي الأمر الحق في التدخل واتخاذ كل التدابير التي من شأنها أن تحول دون وقوع الضرر الذي قد يلحق ببعض مكونات البيئة، أو التخفيف منه أو حتى إزالة مصدر هذا الضرر لسد الذرائع المؤدية إلى الفساد، ويتفرع عن هذه القاعدة عدة قواعد تدور في فلك منع الإضرار شرعاً [2].

أ –الضرر يزال: أي أنه يجب رفع الضرر وإصلاح ما يترتب عليه من آثار، سواء كان الضرر عاماً أو خاصاً.

ب – الضرر لا يزال بمثله: فلا يجوز ارتكاب ما يؤدي إلى ضرر بفاعل الضرر أو بغيره [3] في سبيل إزالة الأضرار، وعلى ذلك ينبغي إزالة الضرر من غير إيقاع ضرر مثله أو أعظم منه.

ج –يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام: فعند تعارض حق الفرد وحق الجماعة يقدم حق الجماعة ويضحى بحق الفرد في سبيل الحفاظ على الجماعة.

د –الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف: فعند الموازنة بين عدة أضرار لابد من وقوعها، يجوز إزالة الضرر الأشد بضرر آخر أخف منه.

هـ– الضرر يدفع بقدر الإمكان: فيجب دفع الضرر قبل وقوعه لأن الوقاية خير من العلاج وإذا وقع الضرر فإنه يدفع بحسب الإستطاعة.

-2-2- قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح:

---

[1]: محمد يوسف، حماية البيئة في الشريعة الإسلامية، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنساني، العدد12، 2000، ص.217.

[2]: محمد الشلش، "رؤية الشريعة الإسلامية ومنهجها في الحفاظ على البيئة : دراسة في الواقع الفلسطيني " (فلسطين: جامعة القدس المفتوحة، د س ن)، ص.169.

[3]: أحمد لعمي وآمال رحمان، "إشكالية التنمية المستدامة في الأقطار العربية: رؤية إسلامية"، ملتقى دولي حول مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الإقتصاد الإسلامي، جامعة قالمة، 2012، ص.261.

إستنبط الفقهاء هذه القاعدة من الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول صلى الله عليه وسلم قال: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم**»؛ [1] فإذا كان استغلال موارد البيئة لتحقيق منفعة ذاتية ومؤقتة سوف يتسبب في الإضرار بهذه الموارد وإفسادها ويتسبب في استنزافها فلا يُسمَح بها، إذ أن منع الضرر والفساد يجب أن يُقدم على أي منفعة عند استغلال البيئة، بإزالة الأضرار الناتجة عن أعمال الأشخاص وتصرفاتهم والتي قد يترتب عليها الإضرار بالناس أو بالحيوانات أو بجودة البيئة.[2]

2-3- قاعدة الموازنة بين المصالح:

إن المصالح إذا تعددت وتعارضت فإنه يعمل بالترجيح بينها وتغليب الأهم منها على ما دونها.

-أ- ما جاز بعذر بطل بزواله: من حق ولي الأمر وقف بعض الأعمال إذا كان ضررها على بيئة الإنسان أكثر من نفعها، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وإذا كانت الجماعة تحتاج إلى الأعمال التي يترتب عليها ضرر فإن حاجتها تنزل منزلة الضرورة في إباحة المحظور، على أن يدفع الضرر بقدر الإمكان، وأن تقدر الضرورة بقدره، و بمجرد زوال الحاجة إلى تلك الأعمال، فعلى ولي الأمر وقفها لأن ما جاز بعذر بطل بزواله.

-ب- كل ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام: يقع تحت طائلة الحرام هنا كل ما يضر الناس، ومن ثم فإن أي مصدر يضر الناس في صحتهم أو راحتهم، مثل انبعاث غازات تؤذيهم، أو إحداث ضوضاء تقلق راحتهم، يعدّ أمرا غير مقبول.

-ج- كل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب: إذا كان من مقتضيات الحد من تلوث البيئة في بلد ما، ضرورة استصدار مرسوم أو وضع معايير تحدد مواصفات الملوثات التي تقذف بها عوادم المصانع والسيارات في بيئة هذا البلد، فإن استصدار مثل هذا المرسوم يصبح واجبا، لأن الواجب الأصلي (**حماية الناس من أضرار التلوث**) لا يتم إلا به. [3]

-د- ولي الأمر في خدمة الرعية: يقتضي أن تعمل السلطات جميعها بما يحمي المجتمع من خطر يحدق به أو يتهدده، أي التوقي من الضرر حتى لا يقع واتخاذ الإجراءات التصحيحية لعلاج هذا الخطر في حالة

---

[1]: إبن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرنئوط (بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، 2001م). ص ص، 138–142.

[2]: محمد مرسي، الإسلام والبيئة (الرياض: أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، 1999م)، ص ص. 42–85.

[3]: السرطاوي فؤاد عبد اللطيف، البيئة والبعد الإسلامي (عمان: دار المسيرة، 1999م)، ص ص. 13–56.

وقوعه، فمثلا إذا تعرض الناس لخطر تلوث الهواء في منطقة معينة بسبب سوء الصيانة في مصنع معين فيها، فعلى ولي الأمر العمل على إزالة مصدر هذا الخطر.

–و– تدخل ولي الأمر المنوط بالمصلحة: من واجب ولي الأمر رعاية مصالح الرعية والمحافظة على تنفيذ الأحكام، وولي الأمر نائب عن الأمة في تنفيذ شرع الله، ولهذا فتدخله في شؤون الرعية منوط بتحقيق مصالحهم ورعاية شؤونهم، فإذا وقعت مفسدة كان على ولي الأمر التدخل لدرئها، ولكن هذا التدخل ليس مطلقا وإنما هو مقيد فقط في حدود ما يجلب النفع ويبعد الضرر.[1]

❖ المحور الرابع: دور التربية البيئية في الحفاظ على البيئة وحمايتها في الإسلام:

مع تنامي مخاطر تدمير البيئة الطبيعية جراء السلوك الإستهلاكي المتنامي للإنساني بعد الثورة الصناعية، تم تطوير عدة أساليب وسياسات لترشيد سلوك الإنسان تجاه البيئة؛ منها ما يعرف بالتربية البيئية، التي بدأ الإهتمام بها أوائل سبعينيات القرن الماضي، بانعقاد الكثير من المؤتمرات الدولية التي تناولت بحث التداعيات السلبية للنشاط الإقتصادي للإنسان على البيئة؛ كقمة الأرض التي عقدت سنة 1992 بمدينة "ريو–ديجانيروا" البرازيلية، ومن قبلها مؤتمر ستوكهولم الذي عقد بالسويد سنة 1974م. كان لهذه المؤتمرات جميعا وغيرها، دور بارز في بلورة مفهوم التربية البيئة، من خلال صياغة واعتماد برامج توعوية وتكوينية حول البيئة، موجهة لكافة فئات وشرائح المجتمع في الدول المتقدمة كما الدول النامية. وقد كان من أبرز توصياتها:

- التأكيد على ضرورة والأهمية الماسة للإهتمام بالتربية البيئية، في حياة الأفراد؛ بتوعيتهم حول المخاطر التي يمكن أن تنجم عن تضرر الأنواع الطبيعية واختلال الأنظمة البيئية على حياة الفرد ذاته.
- التأكيد على أن جميع الدول متقدمة كانت أو نامية، أو سائرة في طريق النمو، ملزمة ببذل قصارى جهدها لتكوين الوعي الحضاري لدى الأفراد والجماعات حول ضرورة حماية البيئة والعمل على استدامتها.

فهي عملية منظمة لتكوين القيم والإتجاهات والمهارات اللازمة لفهم العلاقات التي تربط الإنسان بالبيئة الطبيعية، واتخاذ القرارات اللازمة من أجل الحفاظ عليها، ومنع تلويثها. فالتربية البيئية مفهوم يهدف إلى توضيح علاقة الإنسان وطبيعة تفاعله مع بيئته الطبيعية، وما بها من موارد لتحقيق غاية إكساب الأفراد خبرات تعليمية تتضمن الحقائق والإتجاهات السليمة في التعامل مع البيئة الطبيعية والحفاظ عليها، وحسن استغلالها؛ حفاظا على حياته الشخصية ومستوى معيشته، لارتباط بقاءه ببقاء بيئته الطبيعية. [2] فهي نظام

---

[1]: بركات محمد مراد، الإسلام والبيئة: رؤية حضارية (القاهرة: دار القاهرة للنشر والتوزيع، 1994م)، ص ص. 25–30.

[2]: يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية (القاهرة: دار الشروق، 2001م)، ص ص.13–61.

تعليمي يهدف إلى تطوير القدرات والمهارات البيئية لدى الأفراد، والذي من خلاله يحصلون على المعرفة العلمية البيئية والتوجيهات الصحيحة واكتساب المهارات اللازمة للعمل بشكل فردي أو جماعي في حل المشكلات البيئية القائمة، والعمل أيضا قدر الإمكان للحيلولة دون حدوث مشكلات بيئية جديدة. وقد تضمن الإسلام في شرائعه هذا الأسلوب في الحفاظ على البيئة الطبيعية وحث عليها، فجاءت نصوص قرآنية وأحاديث نبوية توجب على الإنسان حماية البيئة وملاحقها، وسلوك مسلك رشيد في استغلال ثرواتها. حصرها فقهاء الإسلام في مجموعة من القيم التي تؤدي مجتمعة إلى ضمان بيئة طبيعية سليمة للأجيال الحالية والقادمة، نوجزها فيما يلي:

---

1 . قيم المحافظة: وتختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو المحافظة على مكونات البيئة وتشمل: المحافظة على نقاوة الغلاف الجوى ؛ المحافظة على نظافة الثروة المائية ؛ المحافظة على رعاية الثروات النباتية ؛ المحافظة على رعاية الثروات الحيوانية؛ المحافظة على استخدام الثروات المعدنية واللامعدنية... وغيرها.

2/ قيم الإستغلال: هي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو الإستغلال الجيد لمكونات البيئة. وتتضمن عدم الإسراف، وعدم التبذير، والبعد عن الترف، الإعتدال والتوازن في كل شيء، حيث يدعو الإسلام إلى الإعتدال في استهلاك موارده البيئية بحيث تكفي ضرورته وحاجاته، بدون إفراط ولا تفريط.

3/ قيم التكيف والإعتقاد: هي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو التكيف مع بيئتهم، ونحو تصحيح معتقداتهم السلبية تجاهها وتشمل الآتي :التكيف مع التغيرات الطبيعية مثل (قسوة الظروف المناخية، طبيعة الأرض) وكذلك الإبتعاد عن المعتقدات الخرافية مثل (التعاويذ والتمائم والتبرك بالشجر، والتشاؤم. إلخ)

4/ قيم جمالية: وهى تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الإنسان نحو التذوق الجمالي لمكونات البيئة. [1]

- **<u>المسؤولية الإجتماعية:</u>**

ركز الإسلام على البعد الإجتماعي وعلاقته بحماية البيئة الطبيعية من الإتلاف، كونه يراها نوع من التعاون والتكامل الإجتماعي وتتشكل في رأي مالك بن نبي نحو الواجب فوق الحق، وهي مدرسة العمل المشترك، تقوم على مبدأ المآخاة، ومبدأ التبادل ومبدأ التعاون والسلام والزمن التربوي، وعلى فكرة التخطيط، والبعد التربوي للتراث، فيستوجب العمل على تطوير وتنمية الفرد والمجتمع، عن طريق الفعالية التغييرية. وتمكن هذه الخاصية في تغيير الإنسان المتخلف وتكسب للإنسان فعاليته وطاقته الروحية التي فقدها ، وبناء عالم أفكاره واشتراط اكتمال شبكة العلاقات الاجتماعية ، وأن هذا الأخير هو العمل التاريخي الأول الذي يقوم

---

[1]: حسين الخشن، <u>الإسلام والبيئة: خطوات نحو الفقه البيئي</u> (دار الهدى، بيروت، ط1، 2004م)، ص ص. 74–102.

به المجتمع ساعة ميلاده ، ومفهوم المسؤولية الاجتماعية عند مالك بن نبي يشكل حضارة جديدة وتبني ثقافة متحضرة تطول كل شرائح المجتمع وتتعداه بالتفعيل والتوجيه، وأهمية خضوع الأفراد إلى تربية اجتماعية التي يعتبرها مالك بن نبي أنها الثقافة في عمقها الحضاري وفي حيويتها الاجتماعية ، وأنها منهج تغيير المجتمع وتحضيره كتغيير الفرد وتفعيل المجتمع وتوجيهه إلى صناعة تاريخ، وتسييره كيف يعيش مع غيره وكيف يكوّن معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن وكيفية تكوين شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه في التاريخ والبيئة التي سخرت لخدمة الإنسان لكي يعمرها ويبنيها طاعة وعبادة له، وترتكز المسؤولية الاجتماعية من المنظور الفقهي على أسس قد تختصر في الإيمان، الاعتدال والقسط والتكامل.[1]

- **المسؤولية الفردية:**

إن تكريم الله للإنسان وتفضيله من غيره من المخلوقات، وتسخيره له ما في السماوات والأرض، هي دعوة لهذا الإنسان لأن يحافظ على بدنه وحياته وبقائه، ويكون محلا لأمانة التكليف والقيام بأخلاق العمل الصالح كما يسميه الجابري في جوهر الموروث الإسلامي الخالص الذي يدور في أساسه حول "القرآن" وينهل منه مباشرة في مجال الأخلاق، الذي يساعده على التعايش مع الجماعة ويوطد علاقات التماسك والتعاون، فللفرد مسؤول عن المجتمع الذي يعيش فيه.[2] فللتربية الأصلية الفعالة هي باستمرار تلك التربية التي تنجح في بناء وعي تكاملي متوازن لدى الفرد والمجتمع واستيعاب شمولي تكاملي لكل المنظومات، لأن ذلك لا يتأتي إلا من خلال طاقة حيوية تقوم بعملية التجديد داخل الإنسان المحفز الذي يرمي إلى بناء حضارة، فالبيئة تبدأ بالإنسان المتكامل الذي يطابق دائما بين جهده وبين مثله الأعلى وحاجاته الأساسية، والذي يؤدي في المجتمع رسالته المزدوجة وتتمثل الفكرة الدينية في دفع الطاقة الحيوية نحو شبكة العلاقات الاجتماعية صورة ميكروسكوبية تجزئ الطاقة الحيوية إلى طاقات ثلاثة حددها : طاقة القلب وطاقة اليد وطاقة العقل.[3]

---

[1]: مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة :عبد الصبور شاهين (دمشق: دار الفكر للنشر والتوزيع، 2000م)، ص.63.

[2]: رباني الحاج، الجابري والمشكلة الأخلاقية في التراث العربي الإسلامي ، مجلة دراسات إجتماعية وإنسانية، العدد 8، وهران، 2018، ص.37.

[3]: مولاي الخليفة لمشيشي، مالك بن نبي: معالم المنهج في تأصيل العلوم الإنسانية لمشروع " مشكلات الحضارة" (سوريا: دار محاكاة،2012م)، ص. 126.

- **إعتماد العمل بنظام الحسبة/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

أبعد من هذا كله، يقترح بعض الفقهاء والباحثين في مجال حماية البيئة في الإسلام، ضرورة استحداث أساليب جديدة إلى تلك ال تقليدية القائمة والمعمول بها ، في سبيل حماية والحفاظ على البيئة من الإستغلال ومختلف مظاهر الإضرار بها؛ فتغير طرائق الإضرار بالبيئة مع ظهور التكنولوجيا الحديثة يستوجب على صناع القرار في الدول اعتماد أساليب ردع جديدة ، في نظر هؤلاء الفقهاء؛ منها ما طرح كسياسة في إطار ما عرف "بنظام الحسبة". والحسبة نظام إسلامي رقابي يعتمد على النصح لمختلف شرائح المجتمع في كل القضايا التي لها علاقة بسلام ته وأمنه؛ والمحتسب هو الرقيب الذي يتابع سير التعامل بين الناس في أسواقهم، ومصانعهم، ودور عبادتهم، ومساكنهم، وطرقاتهم. [1]

خاتمة:

من خلال كل ما تقدم بيانه في مختلف عناصر هذه الدراسة من جهة، ومن باب الإجابة على السؤال المركزي الذي طرحناه في المقدمة من ناحية ثانية؛ يمكننا القول: أنه ليس ثمة شك أن الإسلام، من منطلق كونه خاتم الرسالات السماوية إلى البشرية كافة، إهتم بالبيئة الطبيعية اهتماما كبيرا باعتبارها ميراث الأجيال المتلاحقة؛ حيث أودع الله تعالى فيها كل مقومات الحياة التي يحتاجها الإنسان المستخلف فيها. كما أرسى الأسس والقواعد والمبادئ التي تضبط وتقنن علاقة الإنسان ببيئته لتتحقق من خلالها العلاقة السوية التي تصون البيئة من جهة، وتساعدها على أداء دورها المحدد من قبل الله في إعالة الحياة من جهة أخرى.

إن اهتمام الإسلام بالبيئة من حيث ذكر مكوناتها ودقة صنعها وتنوعها وبيان سحرها وروعتها ، يرتقي إلى أعلى الدرجات حتى يصل إلى أن يستخدمها القرآن كأحد الوسائل الموصلة إلى متانة البناء العقدي للإنسان المسلم، وذلك حين طالب الإنسان بالنظر فيها والتفكر في صنعها والوصول من خلال ذلك إلى إدراك عظمة الخالق سبحانه وتعالى، ومن ثم الإيمان به والتسليم بقدرته وتفرده في صنع هذا. ويعدُّ المحافظة على البيئة من الأمور التي حثَّ عليها ا لإسلام واهتمَّ بها، كما أنه نهى عن تخريبها بأيِّ شكلٍ من الأشكال . وتعتبر الحاضنة الرئيسة للإنسان، والنبات، والحيوان، إلى جانب العلاقات المتبادلة فيما بينهم، والتي تعود بالنفع على الجميع، ومن هنا فهي تمثل بشكل أو بآخر رأس مال هذه الحياة، وعلى الأخص للإنسان الذي

[1]: عبد الرحمان بن نصر الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق: السيد العريني (بيروت: دار الثقافة، 1981م)، ص ص. 13–83.

يعتبر خليفة الله تعالى على الأرض، والمسئول الأكبر عن أي ضرر قد يلحق بهذا النظام البديع، وهذا ما أثبته العصر الحديث، خاصة بعد أن استطاع الإنسان الوصول إلى قمة المنجزات الحضارية.

قائمة المصادر والمراجع:

- **أولا: المصادر:**

1) القرآن الكريم.
2) أحمد بم حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنئوط وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، الجزء السابع والثلاثين، 2001م).
3) محمد ابن مكرم ابن منظور، لسان العرب (مصر: دار المعارف، د س ن).
4) محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (المملكة العربية السعودية: المطبعة السلفية ومكتباتها، 1375هـ،).

- **ثانيا: المراجع:**

1. الكتب:

1) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، مراجعة: قصي محب الدين الخطيب (المملكة العربية السعودية: دار الريان للتراث، كتاب الشراكة، 1986م).
2) إبن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، تحقيق: شعيب الأرنئوط (بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، 2001م).
3) السرطاوي فؤاد عبد اللطيف، البيئة والبعد الإسلامي (عمان: دار المسيرة، 1999م).
4) بركات محمد مراد، الإسلام والبيئة: رؤية حضارية (القاهرة: دار القاهرة للنشر والتوزيع، 1994م).
5) حسين الخشن، الإسلام والبيئة: خطوات نحو الفقه البيئي (دار الهدى، بيروت، ط1، 2004م) .
6) عبد الرحمان بن نصر الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق: السيد العريني (بيروت: دار الثقافة، 1981م).
7) عطية ضياء الدين محمد، مواجهة الإسلام للتحديات المتصلة بالبيئة (ماليزيا: رابطة الجامعات الإسلامية، د س ن).
8) علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح (سوريا: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م).
9) قطب الريسوني، المحافظة على البيئة من منظور إسلامي (بيروت: دار إبن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م).
10) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة :عبد الصبور شاهين،(دمشق: دار الفكر للنشر والتوزيع، 2000م).
11) محمد الفقي، البيئة (مصر: مكتبة إبن سينا، 1993م).
12) محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين (الرياض: مدار الوطن للنشر، المجلد الأول، د س ن)
13) محمد محمود السرياني، المنظور الإسلامي لقضايا البيئة: دراسة مقارنة (الرياض: مركز الدراسات والبحوث، ط 1، 2006م).

14) محمد زهران، الإسلام والبيئة (مصر: الكتبة الأكاديمية، 2000م).
15) محمد الشلش، "رؤية الشريعة الإسلامية ومنهجها في الحفاظ على البيئة: دراسة في الواقع الفلسطيني" (فلسطين: جامعة القدس المفتوحة، د س ن).
16) محمد مرسي، الإسلام والبيئة (الرياض: أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، 1999م).
17) مسلم بن الحجاج، الصحيح، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، المجلد الأول، 2006م)
18) مولاي الخليفة لمشيشي، مالك بن نبي: معالم المنهج في تأصيل العلوم الإنسانية (سوريا: دار محاكاة،2012م) .
19) يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية (القاهرة: دار الشروق، 2001م).

2. المقالات والدراسات العلمية:

1) أحمد لعمي وآمال رحمان، "إشكالية التنمية المستدامة في الأقطار العربة: رؤية إسلامية"، ملتقى دولي حول مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الإقتصاد الإسلامي، جامعة قالمة، 2012.
2) رباني الحاج، الجابري والمشكلة الأخلاقية في التراث العربي الإسلامي ، مجلة دراسات إجتماعية وإنسانية، العدد 8، وهران، 2018.
3) محمد جابر قاسم، "التربية البيئية في الإسلام"، مجلة أسيوط للدراسات البيئية، العدد 31، جامعة الإمارات، 2008.
4) محمد أحمد الخضي ونواف أحمد سمارة، القيم البيئية من منظور إسلامي، "مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية"؛ المجلد التاسع، العدد الثاني، 2009م.
5) محمد يوسف، حماية البيئة في الشريعة الإسلامية، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنساني، العدد12، 2000.
6) محمد أبو ليث، الوحي والعلوم في القرن 21"الحفاظ على البيئة والوسطية والاعتدال من منظور القرآن والسنة"، الجامعة الإسلامية العالمية، ط1، ماليزيا، 2015.
7) مصطفى العلواني، التلوث جريمة الجشعين، مجلة قطر الخير"، قطر: جمعية قطر الخير، 1999م.

3. المواقع الإلكترونية:

1) الموقع الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية: Ongla ayoune 2010.herber gratuit.com، مقالة التنمية والبيئة والمعادلة الصعبة، القانون المغربي، رقم 11,03 المتعلق بحماية البيئة.
2) الموقع الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية: knol.google.com/k/judge-dr-osama albdlaziz مقالة: ماهية البيئة، للدكتور أسامة عبد العزيز.